الباب الثاني
التدابير الوقائية من الجريمة عمومًا

تمهيد وتقسيم:

تجدر الإشارة إلى أن التدابير الوقائية من الجريمة تنقسم إلى قسمين رئيسيين: قسم عام، يواجه كل الجرائم باختلاف صورها، وقسم خاص يواجه جرائم بعينها؛ فلكل جريمة تدابير خاصة بها، وكل قسم يتفرع عنه فروع؛ الأمر الذي اقتضى أن نفرد لكل منها بابًا خاصًّا به.

فالقسم الأول تتنوع فيه التدابير التي تقي من الوقوع في الجريمة عمومًا؛ من حيث الجهة التي تطبقها، فهي تدابير عامة لا يقتصر أمر تطبيقها على الفرد وحده - باعتباره هو المكلف بأحكام الشريعة الإسلامية - وإنما تقع مسئولية تطبيقها كذلك على جميع فئات المجتمع، فالمجتمع ككل تقع عليه المسئولية كما تقع الفرد، وقيام كل فئة بمسئوليتها على الوجه الأكمل يكون سببًا في أن ينعم المجتمع والأفراد بالأمن والطمأنينة.

وكذلك الحال في ما يتعلق بالدولة ممثلة في مؤسساتها المختلفة؛ فإنها مسئولة - بحكم واجبها أو وظيفتها - عن تطبيق هذه التدابير؛ كي تحمي الأفراد والمجتمع من الجريمة، وتنعم بالاستقرار وتتثبت أركان الدولة؛ فالمسئولية في تطبيق التدابير التي تقي من الجريمة هي مسئولية مشتركة بين كل من الفرد والمجتمع والدولة، فلا يمكن إلقاء عبء مكافحة الجريمة على واحدة منها دون الأخرى، وإنما تتضافر جهود كل فئة منها كل فيما تختص به.

وعليه، فإن هذا الباب ينتظم في ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول : نخصصه لبيان التدابير الوقائية الموكلة للفرد.

الفصل الثاني : نفرده للتدابير الوقائية الموكلة للمجتمع.

الفصل الثالث : نبحث فيه التدابير الوقائية الموكلة للدولة.

الفصل الأول
التدابير الوقائية الموكلة للفرد

تمهيد:

التدابير الوقائية تبدأ ببناء الفرد المسلم بناءً صحيحًا قائمًا على العقيدة الصحيحة، والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

وترتبط المسئولية الفردية في القرآن الكريم بعقيدة استخلاف الإنسان في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

فالخلافة الإنسانية في الأرض هي مصدر الالتزامات الإيجابية والسلبية التي تقع على عاتق الإنسان المسلم، ووحدة نهوضه بأعباء هذه الخلافة، ومسئولية الإنسان تجاه نفسه تتبدى في وجوب اجتناب نوازع الطغيان ودواعي الهوى[1].

ولما كان الفرد هو المخاطب بالأحكام الشرعية، فقد أولت الشريعة الإسلامية مسألة تربيته - إيمانيًّا وأخلاقيًّا- اهتمامًا كبيرًا؛ لأنه جزء من بناء المجتمع الخيِّر؛ ولا ريب في أن إحسان تربيته يحقق السعادة الشاملة في المجتمع باعتباره اللبنة الأولى فيه.

والتدابير الوقائية الموكلة للأفراد تبدأ بالإيمان بالله، وتنتهي بما يتفرع عنه من العبادات بكافة أنواعها، ثم الأخلاق بكافة صورها، ومعظم هذه التدابير جاءت على سبيل الوجوب. وعليه، فإن هذا الفصل ينقسم إلى أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول : الإيمان وأثره في الوقاية من الجريمة.

المبحث الثاني : العبادات وأثرها في الوقاية من الجريمة.

المبحث الثالث : الأخلاق وأثرها في الوقاية من الجريمة.

المبحث الرابع : حسن اختيار الصحبة وأثرها في الوقاية من الجريمة.

---

(١) خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم؛ فتحي الدريني؛ مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ص ٤٩٦.

المبحث الأول
الإيمان وأثره في الوقاية من الجريمة

المطلب الأول
مفهوم الإيمان وأهميته

الإيمان بالله تعالى هو أول واجب عقلي وشرعي كُلِّف به الإنسان، فهو المنطلق لنموه وتطوره في المجالين الروحي والمادي، وهو العمود الفقري لكافة ألوان الحياة السعيدة للبشر، فجسم بلا إيمان كهيكل بلا روح [(١)].

فالإيمان يكوِّن لدى الفرد عقيدة قوية ترفعه إلى سلوك طريق الخير، وتزجره عن طريق الشر. وهو أصل تقوم عليه الطاعات.

والإيمان في اللغة: هو التصديق والاطمئنان.

قال ابن منظور [(٢)] في لسان العرب: «الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانًا، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق» [(٣)].

والجذر الثلاثي للإيمان هو«أمن»، وهو يعني الأمن ضد الخوف، يقول أبو البقاء في كتابه الكليات: «الإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة، إفعال من الأمن ضد الخوف»[(٤)].

وقيل هو: «التصديق، والاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان» [(٥)].

أما في الاصطلاح الشرعي فهو: «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره».

---

(١) مصطفى الزلمي؛ مرجع سابق؛ ص ١٤.

(٢) محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب لسان العرب، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء بطرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره . (الأعلام؛ للزركلي؛ مرجع سابق؛ ج٧؛ ص٣٢٩).

(٣) لسان العرب؛ لابن منظور؛ مرجع سابق؛ ج١٣؛ ص٢٣.

(٤) الكليات؛ مرجع سابق؛ ص٢١٢.

(٥) التعريفات؛ الجرجاني؛ دار الكتاب العربي؛ بيروت ١٤٠٥ هـ؛ ط١؛ ج١؛ ص ٦٠.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية: «الإيمان حقيقة مركبة في معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان»[1].

وقال الراغب الأصفهاني[2]: «يراد بالإيمان: إذعان النفس بالحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح»[3].

فالإيمان مرتبط بالأمن، والأمن ضد الخوف، وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف، فالأمن لن يتحقق إلا بوجود الإيمان؛ يقول الجرجاني: «الأمن هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»[4].

حقيقة الإيمان:

«الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان، ولابد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن، واليقين الجازم الذي لا يزعزعه شك ولا شبهة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات]. ولابد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي، وانقياد إرادي يتمثل في الخضوع والطاعة لحكم من آمن به ـ سبحانه ـ مع الرضا والتسليم، قال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]،

---

(١) الفوائد؛ ابن قيم الجوزية؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣؛ط٢؛ ص١٠٧.

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل ابو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي عام ٥٠٢هـ. من كتبه: محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة؛ المفردات في غريب القرآن. (الأعلام؛ للزركلي؛ مرجع سابق؛ ج٢؛ ص٢٧٩).

(٣) مفردات القرآن؛ الراغب الأصفهاني؛ دار القلم؛ دمشق؛ والدار الشامية؛ بيروت؛ ط١؛ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م؛ ص٩١.

(٤) التعريفات؛ الجرجاني؛ مرجع سابق؛ ج١؛ ص٥٥.

ولابد أن يتبع تلك المعرفة وذلك الإيمان حرارة وجدانية تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس»[1].

ولهذا تجد المولى ﷻ يصف المؤمنين في القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال].

وكل ركن من أركان الإيمان له أثر عظيم في حياة الإنسان، في تهذيب سلوكه وتصرفاته، وينعكس أثره كذلك على المجتمع في أمنه واستقراره.

- فالإيمان بالله عز وجل:

هو أسمى أركان الإيمان وأهمها، فهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه المستحق وحده لأن يفرد بالعبودية والذل والخضوع، وجميع أنواع العبادات، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها والمنزّه من كل عيب ونقص[2].

- والإيمان بالملائكة:

هو الإقرار الجازم بوجودهم، وأنهم من مخلوقات الله ﷻ، خلقهم من نور، ولا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم، وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله.

جاء في الحديث: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خُلِقَتِ الملائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[3].

- الإيمان بالكتب:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله مشتملة على الهدى والنور، فكما أنزل الله القرآن على محمد ﷺ فقد أنزل كتبه على سائر الرسل. ومن هذه الكتب ما سماه الله في القرآن الكريم، ومنها ما لم يسمه، ويجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور

---

(١) الإيمان والحياة؛ د.القرضاوي؛ مكتبة وهبة، ط ١٢؛ ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م؛ ص ١٧-١٨.

(٢) الإيمان؛ محمد نعيم ياسين؛ دار التوزيع والنشر الإسلامية؛ القاهرة؛ ص٧.

(٣) صحيح مسلم؛ كتاب الزهد والرقائق؛ باب في أحاديث متفرقة؛ ج٤؛ ص٢٢٩٤.

والهدى، وأن القرآن العظيم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى، وأن الله ﷻ قد خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما سبقه من الكتب المنزلة، ومن أهم هذه المزايا:

١- أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيدًا ومصدقًا لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

٢- أنه الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت]؛ فلم يدخله تحريف أو تغيير.

٣- أن الله تعالى أنزله على رسوله ﷺ للناس كافة، وليس خاصًّا بقوم معينين، على خلاف الكتب السابقة التي كان كل منها موجهًا لأمة بعينها دون سائر الأمم.

٤- أنه جاء بشريعة عامة للبشر جميعًا، فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدنيا والآخرة.

- الإيمان بالرسل (عليهم الصلاة والسلام):

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى بعث رسلًا إلى جميع الأمم تدعوهم إلى الخير وتحذرهم من الشر، والإيمان بهم واجب؛ سواءٌ من سماهم الله تعالى في كتابه أم الذين لم يسمهم ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [غافر]. ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر]، ومن رحمة الله بعباده أن لا يعذبهم بذنوبهم حتى يبعث إليهم رسولًا يبين لهم طريق الخير ويرغبهم فيه ويحذرهم من الشر والوقوع فيه. قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء].

والإيمان بالرسل عليهم السلام يتضمن تصديقهم ومحبتهم وتعظيمهم والاعتقاد بأنهم أكمل الخلق علمًا وعملًا وأخلاقًا، وأن طاعتهم واجبة؛ لأنها من طاعة الله ﷻ؛ حيث قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء].

ويجب الإيمان بأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والاعتقاد بأنه لا نبوة بعده، ومن ادعاها فهو كذاب، وأنه مبعوث للناس كافة وليس لأمة بعينها، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ].

كما يجب على المؤمن أن يقدم محبته على محبة الوالد والولد والنفس، وقد جاء في الحديث: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].

- الإيمان باليوم الآخر:

هو الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلها جميعًا. وهو ما ذكره القرآن الكريم في كثير من الآيات.

فالإيمان باليوم الآخر له أثر كبير في حياة الإنسان، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار، وحساب، وعقاب، وثواب، وفوز، وخسران له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه، والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ.

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان؛ ج١؛ ص١٤، صحيح مسلم؛ كتاب الإيمان؛ ج١؛ ٦٧.

وشتان ما بين اثنين: أحدهما لا يعتقد ببعث ولا حساب على أعماله وأقواله، وآخر يعتقد بيوم يحاكم فيه الإنسان على أعماله وأقواله أمام أعدل العادلين، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر؛ فالأول منفلت من أي ضابط سوى هواه وشهوته، والغاية عنده تبرر الوسيلة، والآخر منضبط في حدود الحق والخير والصلاح، وهي الأمور التي لها وزن عند الله ﷻ في ذلك اليوم [1]، يؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصَارِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دُرِسَتْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنِّي أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا إِسْطَامًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَبَكَى الرَّجُلانِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لأَخِي. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَمَا إِذْ قُلْتُمَا فَاذْهَبَا فَاقْتَسِمَا ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ ثُمَّ اسْتَهِمَا، ثُمَّ لِيَحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ» [2]. فالإيمان بالبعث والجزاء يقوم عليه صلاح الناس في الدنيا والآخرة؛ لأنه من أعظم الدوافع على القيام بأعمال الخير والبر ونشر الفضيلة والرغبة في الإحسان والإيثار، وهو كذلك يحمل على الكف عن اقتراف الشرور والآثام والكف عن البغي، والظلم والفساد، لما يعلمه الإنسان من أنه سوف يلقى ربه سبحانه، ويجده قد أحصى عليه كل صغيرة وكبيرة من أعماله، وأنه لن يفلت من قبضته، وأن مرده إليه سبحانه [3].

- الإيمان بالقدر:

هو الإيمان بأن الله ﷻ قدر الأشياء في الأزل، ويعلم سبحانه بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل. أو هو «النظام المحكم الذي وضعه الله تعالى لهذا الوجود، والقوانين العامة والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها» [4]. وهذا المعنى هو ما وردت به كثير من آيات القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر]، وقوله سبحانه: ﴿ **ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ**

---

(١) محمد نعيم ياسين؛ مرجع سابق؛ ص ٦٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده؛ مؤسسة قرطبة؛ مصر؛ ج٦؛ ص٣٢٠.

(٣) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم. د.عبد الوهاب الديلمي؛ ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م؛ دار المجتمع للنشر والتوزيع؛ جدة؛ ص٢٣٨.

(٤) العقائد الإسلامية؛ سيد سابق؛ الفتح للإعلام العربي؛ القاهرة؛ ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م؛ ص ٨٣.

﴿كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد].

والإيمان بالقدر خيره وشره يجعل المسلم يسلِّم أمره كله لله ﷻ مطمئن النفس ساكن القلب؛ لأنه يعلم أن ما أصابه ما هو إلا بقدر الله -سبحانه وتعالى- فلا يجزع، ولا يحزن على ما فاته، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

وقوله سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن].

فالمؤمن بالقدر خيره وشره يحتسب أجر مصيبته عند الله ﷻ فلا ينتقم ممن ظلمه أو يعتدي عليه، بل يرد أمره إلى الله ﷻ، فيكظم غيظه، ويعفو عمن ظلمه، وذلك من صفات المؤمن الصادق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

وجاء في الحديث: عَنْ صُهَيْب الرومي ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

أهمية الإيمان وعلاماته:

الإيمان هو أول وسيلة من وسائل الوقاية وأهمها على الإطلاق، وبدونه لا قيمة لأي وسيلة أخرى، فهو قائد التدابير الوقائية جميعها، وهو قاعدة بناء الفرد والمجتمع المسلم. ولذلك؛ مكث الرسول ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة المكرمة يرسخ الإيمان في أصحابه حتى تمكنت العقيدة من قلوبهم؛ لأنها القاعدة التي عليها مدار الأمور.

فالإيمان يكوّن لدى الفرد عقيدة راسخة تدفعه إلى سلوك طريق الخير وتزجره عن طريق الشر، مستشعرًا في ذلك رقابة الله ﷻ، أما ضعيف الإيمان - أو فاقده - فإنه قد ينحرف بسلوكه عن طريق الخير، وتتغلب عليه شهوته فلا يردعه رادع.

---

(١) رواه مسلم؛ كتاب الزهد والرقائق؛ ج٤؛ ص٢٢٩٥.

كما أنه يكوِّن لدى الفرد رقابة ذاتية تحجزه عن المعاصي والجرائم؛ فبه يراقب الله العامل في معمله، والفلاح في مزرعته، والموظف في عمله، والمعلم في مدرسته، والجندي في ساحة معركته، والأم في بيتها، والسلطة حين ممارسة مسئولياتها. فهو أساس كل خلق كريم، وهو صاحب السلطان الأعلى على القلب والجوارح. ولذلك؛ نجد الإيمان حين يذكر في القرآن الكريم يكون متبوعًا بالعمل الصالح كنتيجة للإيمان، وإلا فإن صاحبه فاقد الإيمان أو ضعيفه.

فالإيمان هو دليل السعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهو خط الدفاع الأول والدرع الواقي ضد كل الجرائم صغيرها وكبيرها. وقديمًا قال الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يُحْيِ دينا

«فالإيمان بمفهومه الصحيح هو عماد إصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها، فهو يربي الضمير الإنساني الحي، ويجعل منه حارسًا على حرمات الناس، ولا شئ سوى الإيمان يصنع ذلك [1].

والأمن في المجتمع يقاس بدرجة الإيمان في أفراده، فكلما ازداد إيمان الأفراد أمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وكلما خف وزن الإيمان في النفوس اضطرب الناس واستولى عليهم القلق، مهما كانت سيطرة القانون وقوته؛ فالقوانين لا تمس في الإنسان إلا الشكل والظاهر، أما الإيمان فإنه يسيطر على الكيان الإنساني كله، وبه يكون المؤمنون والمؤمنات أولياء بعض يتوادون ويتعاطفون ويتآخون في الله [2]. وقد صور النبي ﷺ هذه الولاية خير تصوير، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ» [3]، وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله

(١) أثر الإيمان والعبادة في الوقاية من الجريمة؛ منـاع خليـل القطـان؛ النـدوة العلميـة؛ الريـاض؛ ص ١٥٣، شـوال ١٣٩٦هـ.

(٢) الإيمان؛ عبد الحليم محمود؛ دار الندى؛ ص ١٣١.

(٣) صحيح البخاري؛ كتاب المظالم؛ باب نصرة المظلوم؛ ج٢؛ ص٨٦٣.

ﷺ: « تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١).

ومن أهم علامات الإيمان:

- الحياء: فقد جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ» (٢).

- الحساسية عند ارتكاب السيئات: لحديث أَبِي أُمَامَةَ قال: «سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَا الإِثْمُ؟ فَقَالَ: إِذَا حَكَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ. قَالَ: فَمَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: إِذَا سَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ وَسَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ» (٣).

- الشعور بالغيرة إذا رأى محارم الله تنتهك.

- الشعور بوجوب إغاثة الملهوف والمضطر.

فالإيمان إذا سكن قلب رجل جعله متشبعًا بقيم روحية عظيمة، يحمل من الصفات الإنسانية الراقية ما يدفعه إلى أن يكون رجلًا مثاليًّا يحمل من صفات الإيثار والمحبة والنصيحة والرحمة والتعاون على البر ما يجعله يتميز عن سائر الناس، فضلًا عن ابتعاده عن السلوك المنحرف.

المطلب الثاني
أثر الإيمان في الوقاية من الجريمة

- الإيمان كتدبير وقائي على المستوى الفردي له شقّان:

الأول: أنه يحمي الفرد من الوقوع في الجريمة، ويحجزه عن المعصية، ويردع صاحبه عن ارتكاب المحرمات والمنكرات، والاعتداء على الحرمات، ويهذب سلوكه، ويدفعه للقيام بالواجبات والمسارعة إلى الخيرات، ويجعل على النفس رقيبًا داخليًّا يوجهها إلى فعل الخير وترك الشر، وهو باعث على الحياء وموقظ للضمير.

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الأدب؛ باب رحمة الناس والبهائم؛ ج٥؛ ص٢٢٣٨.

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان؛ باب الحياء من الإيمان؛ ج١؛ ص١٧.

(٣) مسند أحمد؛ ج٥؛ ص٢٥١.

الثاني: أنه يحمي الفرد نفسه من كل سوء أو مكروه قد يقع عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق].

فالإيمان يحقق الأمن والطمأنينة والهداية لصاحبه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

وهو يحمي صاحبه من الوقوع في المهالك، وينمي فيه روح المراقبة لله ﷻ، ويسمو بإنسانيته عن مواطن الرذيلة والانحراف؛ لأن المسلم يراقب ربه قبل أن يراقب القانون، ويخاف من ربه -جل وعلا- أشد من خوفه من رجال الأمن، ويخشى عقاب الآخرة أشد من عقاب الدنيا[1].

وما ساد الإيمان في أمة إلا وساد فيها الأمن النفسي في حياة الفرد، والأمن الاجتماعي في حياة المجتمع. أما إذا فقد الإيمان في أمة دبَّ فيها الفساد، وأهدرت القيم، وأصبح أمرها فوضى، وهو واقع الحياة اليوم[2]. فتجد الأب يقتل أبناءه بسبب ضيق ذات اليد، والأم تقتل أطفالها كذلك، والابن يقتل أباه أو أمه، والزوجة تقتل زوجها، والزوج يقتل زوجته، والأخ يقتل أخاه؛ كل ذلك سببه فقدان الإيمان؛ فالإيمان يمنع صاحبه من استباحة الحرمات ومن أكل حقوق الناس، والعبث بمصالحهم، ويمنعه كذلك من معصية والديه، فالمؤمن يمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه، ويستشعر مراقبة المولى ﷻ له في سره وفي علنه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال سبحانه: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) الجريوي؛ مرجع سابق؛ ص ١٠٢.

(٢) أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة؛ مناع القطان؛ مرجع سابق؛ ص ١٥٥.

ويقول سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة].

والإيمان يربي عند الإنسان التواضع وعدم التطرف أو الغرور بأي صفة من صفاته الإنسانية، فإذا اغتر بقوته وأراد البطش أو الظلم ذكر قدرة الله عليه [1].

- أما على المستوى الجماعي:

فإن الإيمان يوجد لدى المجتمع روح الأخوة والتعاون والتكافل؛ فيعم الخير والمحبة، كما يوجد فيه الرأي العام الفاضل الذي يغار على حرمات الناس ويحارب الجريمة والشر بكافة صورهما، ويدعو إلى الخير بكل وسيلة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات].

كذلك، فالإيمان يحقق الأمن والاستقرار في المجتمع، وبه تحل البركة في الرزق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

فإذا ما سيطر الإيمان في الكيان الاجتماعي كان المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يتوادون، ويتعاطفون، ويتراحمون؛ لأن الإيمان يزيل من المجتمع الحقد الطبقي، والتمييز العنصري، والعصبية للعشيرة أو القوم، كما يزيل منه مشاعر الحقد والاستعلاء بين الأجناس والألوان، يؤكد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» [2].

- أما على مستوى الدولة الحاكمة:

فإن الإيمان يجعل الحاكم يقوم بواجباته تجاه رعاياه على الوجه الأكمل، ويحميهم من كل ما يعرضهم للخطر؛ لأنه يستشعر حديث الرسول ﷺ الذي رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

---

(١) أصول التربية الإسلامية؛ عبد الرحمن النحلاوي؛ دار الفكر؛ دمشق؛ ط١؛ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م؛ ص٧٦.

(٢) سبق تخريجه.

أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُل رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه» [1]، فيسود العدلُ الدولةَ ، وتصان الحقوق والحريات، ويرفع شأن الدين؛ الذي به تصان الأعراض، وتحفظ الدماء والأموال، مما يترتب عليه استقرار الحكم وأمن البلاد، وعدم خروج المحكوم على الحاكم ؛ لأن الشعور بالظلم يولد لدى الناس روحًا عدوانية رغبة في الانتقام، والإيمان مانع من كل ذلك.

فالإيمان الصادق يدفع أصحابه إلى الخضوع لأوامر الله ونواهيه: فعلًا أو تركًا، سواءٌ أكان من جانب الأفراد أم المجتمع أم الدولة، وفي جميع جوانب الحياة.

المبحث الثاني
العبادات وأثرها في الوقاية من الجريمة

من رحمة الله تعالى بعباده أن شرع لهم عبادات يتقربون بها إليه سبحانه، ويتطهرون بها من الذنوب والأوزار، وهي بجميع صورها إلى جانب ذلك وسيلة فعالة في تعميق مفاهيم الخير والصلاح في النفس الإنسانية، ودفعها نحو الاستقامة على طريق الله ﷻ.

وسوف نتناولها في مطلبين:

الأول: نبين فيه المقصود بها، وصورها.

الثاني : نوضح فيه أثر العبادات في الوقاية من الجريمة.

المطلب الأول
المقصود بالعبادات وصورها

العبادة في اللغة مصدر عبد، يقال: عبد عبادة وعبودية، بمعنى انقاد، وأطاع، وخضع، وذل، ومنه طريق معبد. وأصل العبودية: الخضوع والذل. والتعبيد: التذليل، ومنه قولهم:

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الأحكام؛ مرجع سابق؛ ج٦؛ ص٢٦١١.

طريق معبد [١]. ويقول الراغب في مفرداته: «العبودية إظهار التذلل؛ والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى» [٢].

وفي الشرع هي: «فعل المكلف على خلاف هوى النفس تعظيمًا لربه» [٣].

ولعل أبلغ تعريف لها هو تعريف الإمام ابن تيمية [٤] -رحمه الله تعالى-؛ حيث قال: «والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة..» [٥].

فالعبادة بمفهومها العام تتناول كل ما جاء في دين الله من أمر ونهي، ولتحقيق معنى العبودية لابد من امتثال أوامر الله ونواهيه في كل شأن من شئون الحياة، ومنها أن الإسلام نهى عن كل ما فيه ضرر أو أذى، بدءًا بالصغائر وانتهاءً بالكبائر.

أما العبادة بمفهومها الخاص، فهي تتناول مجموعة الشعائر أو الفرائض التي فرضها الله على عباده، وحدد لها مواقيت تؤدى فيها، وهي الشعائر التعبدية؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم والحج، وهي فرائض أوجبها الله تعالى على كل مكلف من عباده.

والشأن في جميع هذه العبادات أنها تربية للنفس وتقويم لسلوكها؛ حتى تستقيم النفس في جميع مجالات الحياة؛ فتطهر من الرذيلة، وتنأى عن المعصية فلا تقترف إثمًا، ولا ترتكب جرمًا، ولكل عبادة منها آثارها التربوية في ذلك [٦].

والعبرة في العبادة ليست بظاهرها، وإنما بحقيقتها، وما تتركه في النفس من أثر؛ فالعبادة

---

(١) مختار الصحاح؛ للرازي؛ ج١؛ ص١٧٢؛ مكتبة لبنان ناشرون؛ بيروت؛ ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

(٢) مفردات الأصفهاني؛ مرجع سابق؛ ص٥٤٢.

(٣) الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق؛ ج١، ص ١٨٩.

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي هاشم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين بن تيمية، الإمام شيخ الإسلام، ولد في حران سنة٦٦١هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونقل إلى الإسكندرية ثم أطلق؛ فسافر إلى دمشق سنة٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ، وأطلق ثم أعيد ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة٧٢٨هـ ، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، له تصانيف كثيرة؛ منها: الفتاوى، والإيمان، ومنهاج السنة. (الأعلام؛ للزركلي؛ مرجع سابق؛ ج١؛ ص١٤٠).

(٥) العبودية؛ ابن تيمية؛ دار الإيمان؛ الإسكندرية؛ ط ٢٠٠٣م؛ ص٨ .

(٦) أثر العبادة والإيمان في الوقاية من الجريمة؛ مناع القطان؛ مرجع سابق؛ ص ١٤٩.

الحقيقية الصادقة هي التي تتميز بما يلي:

١- أنها ليست مجرد تبتل وأذكار يؤديها اللسان أو الجوارح، وإنما هي أعمال يشارك فيها القلب، واللسان، والعقل، وسائر الجوارح؛ فهي عبادة، ورياضة، وسلوك، وأخلاق.

٢- أنها تحرض النفس البشرية على فعل الخير، مما يجعل الإنسان عضوًا فاعلًا في المجتمع الذي يعيش فيه.

٣- أنها تعمل على تقوية خلق التقوى في الإنسان المسلم، مما يجعله إنسانًا واقعيًّا عمليًّا.

وهذه العبادات هي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وسنتعرض للتعريف بها فيما يلي:

أولاً: الصلاة:

الصلاة في اللغة: الدعاء بخير، وهي دعاء يتقرب به إلى الله استغفارًا لذنب أو شكرًا لنعمة أو دفعًا لضيم أو قيامًا بغرض عبادة، كما أنها إظهار الحاجة والافتقار إلى المعبود بالقول والعمل، وقد فرضها الله على عباده في اليوم خمس مرات ليذكرهم بأوامره، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا، كما أن من معانيها الثناء على الله بما يستحقه من الحمد والتمجيد [(١)].

فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فرضها الله ﷻ خمس مرات في اليوم والليلة، ومما ورد في فرضيتها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة]، وقوله ﷻ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

والصلاة هي الفرض الوحيد الذي أمر الشارع الحكيم بالمحافظة عليه في السفر والحضر، وفي الصحة والمرض، وفي الأمن والخوف، حتى يظل المسلم على صلة دائمة بربه على مدار اليوم والليلة، وأداؤها في أوقاتها له أثر عظيم في حياة الفرد وسلوكه، فهو يبدأ يومه بأداء صلاة الفجر، فيصبح في ذمة الله حتى يمسي [(٢)]، ثم يصلي الظهر فتمنحه دفعة روحية بعد يوم

---

(١) روح الدين الإسلامي؛ عفيف طبارة؛ دار العلم للملايين؛ بيروت؛ ط٢٧، ١٩٨٨م؛ ص ٢٤١.

(٢) جاء في الحديث عَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَلا تُخْفِرُوا الله فِي ذِمَّتِهِ» رواه الترمذي؛ كتاب الصلاة؛ ج٤؛ص٤٦٥؛ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

حافل بالنشاط، وتأتي بعدها صلاة العصر التي هي إحدى البردين فيكسب بها الجنة [1]، ثم يختم يومه بصلاة المغرب، ثم بصلاة العشاء، مما يجعله دائم الصلة بالله ﷻ، وقد شبهها الرسول ﷺ بنهر يغتسل منه المرء خمس مرات في اليوم والليلة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؛ يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا» [2].

وأداء الصلاة في أوقاتها جماعة هي الفرصة المناسبة لأن يلتقي المسلم بإخوانه، فينتظم معهم في صف واحد، يأتمون بإمام واحد، طاعة لربهم ومرضاة له، فيتفقد الحاضر منهم الغائب، ويتعرف كل على حال أخيه، ويسأل الصحيح عن المريض، مما يخلق شعورًا بالوحدة الإسلامية التي تجعل المجتمع الإسلامي يعيش في أمن وطمأنينة [3].

ثانيًا: الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي عبادة مالية واجتماعية، أكد الله فرضيتها في القرآن الكريم في كثير من الآيات، وقرنها بالصلاة في كثير منها، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

وقد شرعها الله ﷻ لسد حاجة الفقراء والمحتاجين، وجعلها حقًّا ماليًّا في أموال الغني للفقير، وفي أدائها تطهير للنفس من الشح والبخل والحرص، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن].

---

(١) جاء في الحديث عن أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه البخاري ج١؛ ص٢١٠، مسلم؛ ج١؛ ص٤٤٠.

(٢) صحيح البخاري؛ باب الصلوات الخمس كفارة؛ ج١؛ ص١٩٧. صحيح مسلم؛ كتاب المساجد ومواضع الصلاة؛ ج١؛ ص٤٦٢.

(٣) أثر الإيمان والعبادات في الوقاية من الجريمة؛ مناع القطان؛ مرجع سابق؛ ص ١٤٩.

أما مصارف الزكاة فقد ذكرتها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة].

ثالثًا: الصوم:

الصوم هو الركن الرابع من أركان الإسلام. والصوم في اللغة: الإمساك أو الكف عن الشيء، وفي اصطلاح علماء الشرع هو: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وغيرها مما ورد به الشرع في النهار على الوجه المشروع، ويتبع ذاك الإمساك عن اللغو والرفث وغيرهما من الكلام المحرم والمكروه [1].

والأصل في فرضية الصوم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة]، فأوجب الله تعالى صوم رمضان على كل مسلم بالغ عاقل. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف ما يرغب في الصيام، ويبين الأجر العظيم للصائم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [2].

والصيام في حد ذاته من العبادات التي تهذب النفوس وتزكيها، وتجعل بين صاحبها وبين الجريمة حاجزًا، فقد جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ؛ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ» [3].

رابعًا: الحج:

هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فرضه الله ﷻ على المسلم البالغ العاقل القادر، وقد جاءت فرضيته في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

(١) سبل السلام؛ الصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير؛ ج٢؛ ص١٥٠؛ دار إحياء التراث العربي؛ بيروت؛ ١٣٧٩هـ؛ ط٤.

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان؛ ج٢؛ ص٦٧٢، صحيح مسلم؛ ج١؛ ص٥٢٣.

(٣) موطأ مالك؛ دار إحياء التراث العربي؛ مصر؛ كتاب الصيام؛ ج١؛ ص٣١٠.

حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]. فمن وصل حد الاستطاعة وجب عليه الحج.

وقد بين الرسول ﷺ فضل الحج وأثره في حياة المسلم في أحاديث كثيرة منها: حديث أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاّ الْجَنَّةُ» (٢). والحج فرصة عظيمة للتوبة والرجوع إلى الله ﷻ وسلوك طريق الاستقامة، وهذه الفرصة يمنحها الله ﷻ لمن يشاء من عباده.

المطلب الثاني
أثر العبادات في الوقاية من الجريمة

تترك العبادات، بجميع صورها، أثرًا عظيمًا في سلوك الفرد وسلوك الجماعة، وسلوك الحاكم، والمواظبة عليها يعمق لديهم مفاهيم الخير والصلاح، ويدفعهم نحو الاستقامة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. وسنحاول التعرض لأثر العبادات - المذكورة آنفًا - في الوقاية من الجريمة على النحو التالي:

أولاً: أثر الصلاة في الوقاية من الجريمة:

العلاقة بين الصلاة وبين الوقاية من الجريمة تتضح جلية في قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقد جعل الله تعالى تركها عنوانًا للانغماس في الشهوات وسببًا للوقوع في الغي والضلال، وسببًا من أسباب الخلود في النار، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الحج؛ ج٢؛ ص٥٥٣. صحيح مسلم؛ ج٢؛ ص٩٨٣.

(٢) صحيح البخاري؛ كتاب الحج؛ ج٢؛ ص٦٢٩. صحيح مسلم؛ باب فضل الحج والعمرة؛ ج٢؛ ص ٩٨٣.

والصلاة إن أقيمت بروحها لا بشكلها، تركت في النفس أثرًا عظيمًا، فهي صلة بين العبد وربه، وهي وسيلة فعالة من الوسائل الوقائية لمكافحة الإجرام، ومن آثارها في حياة الأفراد والجماعات ما يلي:

١- أن المرء حين يؤديها خمس مرات في اليوم والليلة، يظل على صلة دائمة بالله ﷻ، مستشعرًا رقابته الدائمة عليه؛ فيخرج منها بزاد روحي وإيماني قوي يستعين به على مصاعب الحياة وهمومها، وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - إلى أثر الصلاة في حياة المسلم بقوله: «فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة.. ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلب، ومطردة للداء عن الجسد، ومنورة للقلب، ومبيضة للوجه، ومنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للزرق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة ودافعة للنقمة ومنزلة للرحمة وكاشفة للغمة»[(١)].

٢- أن في أداء الصلاة كبح لجماح النفس وحجزها عن اتباع الشهوات والتي تؤدي إلى الوقوع في الجرائم، كما أن في أدائها اطمئنان النفس وراحة القلب. ولذلك؛ كان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة؛ حيث جاء في الحديث عن حُذَيْفَة قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»[(٢)]. وهي تزيل من النفوس بذور العداوة والبغضاء والكراهية والحسد، فلا يفكر المسلم في الاعتداء على أحد.

٣- أن في أدائها بروحها لا بشكلها، يجعل المسلم نقي السريرة، طيب القلب، يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، ويخشى الله سرًّا وعلانية، فلا يقدم على ارتكاب جريمة تؤدي به إلى نار جهنم.

٤- أن في صلاة الجماعة تحقيق لروح الأخوة وترسيخها بين أفراد المجتمع؛ فهي إلى جانب أنها تحقق مبدأ المساواة بين الناس، حين التقائهم في صفوف متراصة؛ فإنها فرصة عظيمة لأن يلتقي المسلم بإخوانه، يتفقد الحاضر الغائب، ويسأل الصحيح عن المريض، الأمر الذي يخلق الشعور الجماعي بالوحدة، ويبعث الأمن والطمأنينة بين الناس[(٣)].

---

(١) الطب النبوي؛ ابن القيم الجوزية؛ ص١٦٣؛ دار الفكر؛ بيروت.

(٢) سنن أبي داود؛ كتاب الصلاة؛ ج٢؛ ص٣٥. ومسند الإمام أحمد؛ ج٥؛ ٣٨٨.

(٣) أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة؛ مناع القطان؛ مرجع سابق، ص ٩٤.

ثانيًا: أثر الزكاة في الوقاية من الجريمة:

إن في أداء الزكاة، بالصورة التي فرضها الله ﷻ، الكثير من الفوائد العظيمة التي تعود على صاحبها بالخير والنماء، وتعود على المجتمع بالرخاء والازدهار، فهي:

- طهرة لنفس الغني من البخل والشح اللذين يدفعان صاحبهما إلى القتل وقطيعة الرحم. وقد جاء في الحديث: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ؛ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» [(١)]. وفي حديث آخر: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو بن العاص قَالَ: «خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ؛ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا» [(٢)].. فأداء الزكاة تحرير للنفس من حب المال وتعويد لها على البذل والجود به.

- وهي كذلك طهرة لنفس الفقير من الحقد والحسد والضغينة التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة؛ لأن الزكاة وسيلة من وسائل القضاء على الفقر الذي هو أحد عوامل الانحراف. فأداء الزكاة وبذلها في مصارفها يقرب الفجوة بين الأغنياء والفقراء، فيجعل الفقير مطمئن النفس معترفًا بالتفاوت الفطري في الأرزاق بين الناس، فلا يفكر في الاعتداء على الغني؛ فمن المعلوم أن الحاجة هي التي تدفع بعض الناس من ضعاف الإيمان إلى الإجرام، وعندما تسد حاجة الفقير يطهر قلبه من الحقد والحسد على من حوله، فتحفظ الأموال ويصان المجتمع من الاعتداء.

وبالزكاة، كذلك، يأمن المجتمع وتأمن الدولة ممن يُخشى شرهم وفسادهم، فقد تضطر الدولة إلى أن تداري بعض أفرادها تأليفًا لهم واستمالة لقلوبهم، ووقاية من شرهم وفسادهم، وهم المؤلفة قلوبهم، وبالزكاة تفرج كربة الغارمين الذين لحقتهم ديون كبيرة أو خسائر فادحة بسبب كساد تجارتهم.

ثالثًا: أثر الصوم في الوقاية من الجريمة:

الصوم من أهم العبادات التي تهذب النفس وتزكيها وتحررها من سلطان الغريزة التي

---

(١) صحيح مسلم؛ كتاب البر والصلة؛ باب تحريم الظلم؛ ج٤؛ ص١٩٩٦.

(٢) سنن أبي داود؛ كتاب الزكاة؛ باب في الشح؛ ج٢؛ ص١٣٣.

تدفع إلى الجريمة. والهدف من الصوم والحكمة منه هو حصول التقوى؛ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة]، والتقوى في اللغة بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية والاحتراز بطاعة الله عن عقوبته [(١)]، وهي كذلك حفظ النفس عما يؤثم. قال ابن حجر [(٢)] في بيان الحكمة من الصوم: «ليكون سببًا لاتقاء المعاصي وحائلا بينهم وبينها» [(٣)]، ويتضح ذلك جليًّا في حديث الرسول ﷺ حاثًّا الشباب غير القادر على الزواج على الصوم؛ حيث ورد في الحديث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» [(٤)].

ومن آثار الصوم ما يلي:

١- أنه يكبح جماح النفس عن الشهوات والملذات، ويصونها من اتباع أهوائها، ويسيطر على انفعالاتها وعواطفها، ويقاوم انحرافاتها، ويحجزها عن المعصية، ويروضها على الاستقامة وفعل الخير.

٢- في الصيام مثل أعلى لتربية الإرادة المؤمنة التي تستعلي على عادات الإنسان، وأهوائها وشهواتها، بل تستعلي على ضرورات حياته فترة من الزمن فتقضي على بواعث الشر والجريمة[(٥)].

٣- من آثار الصوم، كذلك، القضاء على بواعث الخصام والخلاف المؤدية إلى الجريمة؛

---

(١) التعريفات؛ الجرجاني؛ يرجع إلى الباب الأول من هذه الرسالة.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر؛ ولد سنة٧٧٣هـ، وتوفي سنة٨٥٢هـ؛ من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، كان فصيح اللسان وراوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، له مصنفات كثيرة منها: تقريب التهذيب، وتهذيب التهذيب، والإصابة في تمييز الصحابة، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، وفتح الباري شرح صحيح البخاري. (الأعلام؛ للزركلي؛ مرجع سابق؛ ج١؛ ص١٧٣).

(٣) فتح الباري؛ كتاب التفسير؛ دار المعرفة؛ بيروت؛ ١٣٧٩هـ؛ ج٨؛ ص١٧٨.

(٤) صحيح البخاري؛ كتاب النكاح؛ ج٥؛ ص١٩٥٠، صحيح مسلم؛ ج٢؛ ١٠١٨.

(٥) مناع القطان، مرجع سابق، ص ١٥٢.

فالصائم يحبس لسانه عن اللغو والسباب والخوض في أعراض الناس، ويردعه كذلك عن ارتكاب الفواحش، وأخذ الرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، وهو يدعوه إلى الصبر والاحتساب وعدم رد الإساءة بمثلها، متمثلًا حديث الرسول ﷺ: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ الله عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاّ الصِّيَامَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»[1].

فالصوم يربي في النفس كل خلق كريم، ويجعل من الإنسان رقيبا على نفسه خائفا من ربه ممتنعا عن ارتكاب أي معصية أو جرم.

رابعًا: أثر الحج في الوقاية من الجريمة:

الحج من أوضح العبادات أثرًا في حياة المسلمين؛ وذلك لعدة أمور:

١- أن له حرمتين:

- حرمة مكانية، دائرتها البيت الحرام والبلد الحرام، وتتسع نطاق هذه الحرمة لتشمل الحيوانات والأشجار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة].

- وحرمة زمانية، ميقاتها الأشهر الحرم، حيث يجتمع ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وهي أشهر الحج.

ومنهج التربية بتحريم الزمان والمكان شرع إلهي قديم أقره الإسلام، وربط به بين المسلمين الأولين والمؤمنين الآخرين. وهو فرصة تهيئ لأهل العصر الواحد التفاهم وقطع أسباب الخلاف والتخاصم. وهو بمثابة هدية إلهية؛ يتدبر الناس فيها شئونهم،

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الصيام؛ ج٢؛ ص٦٧٣. صحيح مسلم؛ ج٢؛ ص٨٠٧.

فيعرفون مهمتهم في الحياة من حسن التعمير وإسعاد البشرية على أسس من المحبة والتعاون، وبذلك يكفون عن العدوان، وعن الجشع المثير للحروب والقاضي على الأمن والاستقرار المفسد لخلافة الإنسان في الأرض [1].

٢- أن المسلم يتزود في حجه بزاد روحي كبير من صفاء القلب، وطهارة النفس فيرجع من حجه كيوم ولدته أمه، كما جاء في الحديث السابق ذكره، ولا شك بأن شعور المرء بأن صفحته خالية من الذنوب دافع له إلى أن يعيد النظر في سلوكه مع الناس من حوله، فتتقوى لديه نوازع الخير والصلاح، فيدعو إلى الخير، وينبذ الشر، ويتحكم في شهواته.

٣- الحج فرصة عظيمة، يجتمع فيها المسلمون من كل مكان على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وكأنهم في مؤتمر عالمي سنوي، فيطلع بعضهم على أحوال بعض؛ لتتحقق فيهم مبادئ الأخوة والمساواة، وتختفي من بينهم مظاهر العصبية والشقاق.

٤- موسم الحج وأيامه تعود بالخير والبركة على الفقراء والمساكين من أهل البلد الحرام، ويتعداه إلى خارج البلد الحرام. فتجد أن ما يذبح فيه من هدي وفدية وأضاحي يوزع - لكثرته - في كثير من البلدان ليوزع على الفقراء. قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج].

مما سبق ذكره بشأن العبادات يتبين لنا أن العبادات، بجميع صورها، لها تأثير كبير في النفس، وهي وسيلة فعالة في تعميق مفاهيم الخير والصلاح، ودفع النفس نحو الاستقامة على طريق الخير، فتجعلها تنفر من الفساد والإجرام، وبالتالي تختفي ظاهرة الإجرام. فالصلاة بروحها تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم بحقيقته ينهى عن كل إثم، والزكاة تطهر النفوس من الشح وتغني الفقراء، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة؛ محمود شلتوت؛ مرجع سابق؛ ص ١١٨-١١٩.

إن تأثير العبادة في السلوك عظيم جدًّا، سواء على مستوى سلوك الفرد أو الجماعة أو الحاكم، فالمؤمن العابد يشعر بصلته الدائمة بالله ﷻ من خلال عبادته وطاعته، فتجده متعاونًا على البر والتقوى، متواضعًا مهما علت منزلته، مشاورًا مهما حسن رأيه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، محبًّا للغير مؤثرًا على نفسه، منكرًا لذاته، عادلًا في أحكامه، بارًّا بوالديه، حاميًا لوطنه من الكفار والمستعمرين، ساعيًا لرفعة أمته، مغيثًا للملهوف، معينًا للنوائب، حاضرًا عند المصائب، صابرًا في الشدائد، محسنًا لجاره، كافلًا للأرملة واليتيم، مخلصًا في عمله، حريصًا على الحق، شافعًا للمظلوم، صادق الوعد، وفيَّ العهد، قويًّا أمينًا، معطاءً لكل خير [1].

وتجده، كذلك، بعيدًا عن المحارم، متوقيًا للمآثم، لا تعرف الفاحشة إلى نفسه سبيلًا، ولا تعرف الجريمة إلى سلوكه طريقًا، لا يغش ولا يغدر ولا يكذب ولا يخون، ليس طعانًا ولا لعانًا ولا فاحشًا ولا بذيئًا، لا يشهد زورًا ولا يقتل نفسًا ولا يسرق مالًا ولا يهتك عرضًا ولا يظلم أحدًا ولا ينم ولا يغتاب... دائم المحاسبة لنفسه.

ومن عظمة الإسلام أن جعل مفهوم العبادة يشمل الحياة كلها، فلا تقتصر على الفرائض المعروفة والشعائر التعبدية، وإنما تشمل كل شئون الحياة من عبادات ومعاملات، كما جاء في تعريف العبادة للإمام ابن تيمية بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال..».

المبحث الثالث
الأخلاق وأثرها في الوقاية من الجريمة

النظام الأخلاقي في الإسلام مرتبط ارتباطًا وثيقًا بنظام العقيدة ونظام العبادات، وبقدر ما يحمل الإنسان من معانيهما بقدر رسوخه في الأخلاق.

وقد عني الإسلام بالأخلاق عناية فائقة، وجعلها أحد الأصول الأربعة التي يقوم عليها دين الإسلام [2]، بل هي الأمر الذي بعث الرسول ﷺ ليتممه، جاء في

(١) النظام السياسي الإسلامي؛ منير البياتي؛ دار البشير؛ الأردن؛ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م؛ ط٢، ص ٣٥٠.
(٢) وهي التي حصرها الفقهاء في الإيمان، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات.

الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ»[1]. وأثر الأخلاق في الوقاية من الجريمة كبير، وسوف نتعرض لذلك من خلال مطلبين:

الأول: نحاول التعريف فيه بالأخلاق الإسلامية، وأهميتها.

الثاني : نبحث فيه أثرها في الوقاية من التجريم.

المطلب الأول
تعريف الأخلاق وأنواعها

الأخلاق في اللغة: جمع خلق. والخلق، بضم اللام وسكونها، يراد بها معان عدة، منها: الدين والطبع والسجية والمروءة. وحقيقة الخلق أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها [2]. ويوصف الخلق بالمدح فيقال: خلق حسن، ويوصف بالذم فيقال: خلق ذميم.

الأخلاق في الاصطلاح: هي حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر، من غير حاجة إلى فكر وروية [3].

وعرفه ابن المبارك [4] بقوله: «هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى» [5].

وقال الحسن البصري[6] -رحمه الله-: «حقيقة حسن الخلق بذل المعروف

---

(١) مسند أحمد؛ مرجع سابق؛ ج٢؛ ص٣٨١.

(٢) لسان العرب؛ ابن منظور؛ ج١٠؛ ص ٨٦؛ مرجع سابق.

(٣) المعجم الوسيط؛ مرجع سابق؛ ص٢٥٢.

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي التميمي مولى بني حنظلة، ولد بمرو سنة ١١٨هـ، وتوفي بهيت على الفرات وهو عائد من غزو الروم سنة١٨٢هـ، جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك ابن أنس رضي الله عنهما، أفنى عمره في الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا، جمع الحديث والفقه والعربية والشجاعة والسخاء، أول من صنف في الجهاد والرقائق.(وفيات الأعيان ابن خلكان دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ج٣؛ ص٣٢، طبقات الفقهاء ج١؛ ص١٠٧، الأعلام؛ للزركلي؛ ط٣؛ ج٤؛ ص٢٥٦).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه في باب ما جاء في حسن الخلق؛ ج٤، ص ٣٦٣؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. قال الغزالي عنه: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة؛ وكان غاية في الفصاحة تتصبب الحكمة من فيه، ولد سنة٢١هـ وتوفي بالبصرة سنة١١٠هـ .(الأعلام؛ للزركلي؛ مرجع سابق؛ ج٢؛ ص٢٤٢).

وكف الأذى»[1].

جاء في فتح الباري: «وأما الخلق فهو بضم الخاء واللام ويجوز سكونها. قال الراغب: الخَلق والخلق -يعني بالفتح وبالضم- في الأصل بمعنى واحد؛ كالشرب والشرب، لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة». انتهى. وقد كان النبي ﷺ يقول: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي» أخرجه أحمد وصححه ابن حبان، وفي حديث عليٍّ الطويل في دعاء الافتتاح ثم مسلم: «واهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدى لأحسنها إلا أنت»، وقال القرطبي في المفهم: «الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة؛ فالمحمودة على الإجمال: أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها، ولا تنتصف لها، وعلى التفصيل: العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك»[2].

فالخلق المحمود صفة ثابتة في النفس، فطرية أو مكتسبة، تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء؛ كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال، وإن خالف الهوى وترك الباطل والشر والقبح وإن وافق الهوى أو الشهوة، وعلى العكس، الخلق المذموم، فهو صفة ثابتة في النفس، فطرية أو مكتسبة، تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء؛ كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير أو الجمال اتباعًا للهوى أو الشهوة[3].

والأخلاق ليست مجرد أوصاف يتصف بها الإنسان، بل هي علم قائم بذاته يبحث عن معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس مع بعضهم بعضًا، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدوا إليها في أعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي، وهي الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم[4].

ولذلك؛ أولتها الشريعة الإسلامية اهتمامًا كبيرًا، وحثت على مكارم الأخلاق في كثير من النصوص النبوية، لما فيها من الخير والسعادة والصلاح للناس جميعًا.

وقد وصف الرسول ﷺ من اتصف بها بأنه من أكمل المؤمنين إيمانا. جاء في

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي؛ مؤسسة الرسالة؛ بيروت؛ ط٣؛ ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م؛ ج٢؛ ص١٩٧.

(٢) فتح الباري؛ مرجع سابق؛ ج١٠؛ ص ٤٥٦.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حنبكه الميداني، دار القلم دمشق، ط٥، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص١٦.

(٤) روح الدين الإسلامي؛ عفيف طبارة؛ مرجع سابق؛ ص ٢٠٣.

الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[1].

والأخلاق الحسنة هي أكثر ما يدخل الناس الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ. وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»[2].

والأخلاق هي معيار الخيرية لحديثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا»[3]، وحديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[4].

ومن أكثر ما يثقل ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق جاء في الحديث: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ الله لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»[5].

ودعا المولى ﷻ إلى الابتعاد عن رذائل الأخلاق في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

أنواع الأخلاق الإسلامية:

الأخلاق التي دعت إليها الشريعة الإسلامية أوسع من أن نتكلم عنها في هذا المقام، فقد بلغت الأخلاق الاجتماعية في الإسلام مبلغًا من الرقي العظيم ما جعلها في مركز القمة، بما اشتملت عليه من تفصيلات موثقة للروابط الاجتماعية بين الأفراد، ومؤثرة تأثيرًا عميقًا في تغذية وحدة الجماعة الإسلامية وتنمية روابط المودة والإخاء بين المسلمين [6]، ومع ذلك

---

(١) سنن أبي داود؛ كتاب السنه؛ ج٤؛ ص٢٢٠، وفي رواية الترمذي: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا» كتاب الإيمان؛ ج٣؛ ص٤٦٦؛ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي؛ كتاب البر والصلة؛ ج٤؛ ص٣٦٣؛ وقال: حديث صحيح غريب.

(٣) صحيح البخاري؛ ج٣؛ ص١٣٠٥، صحيح مسلم؛ ج٤؛ ص١٨١٠.

(٤) سنن أبي داود؛ كتاب الأدب؛ باب في حسن الخلق؛ ج٤؛ ص٢٥٢.

(٥) رواه الترمذي؛ كتاب البر والصلة؛ ج٤؛ ص٣٦٣، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن الميداني، مرجع سابق، ص ٥٧.

فسوف نحاول ذكر بعض هذه الأخلاق والتي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالوقاية من الجريمة.

١- الصبر:

عُرِّفَ الصبر بأنه: «حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية»[(١)].

وعرف كذلك بأنه: «قوة خلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والطيش والخوف والطمع والأهواء والشهوات والغرائز»[(٢)].

والصبر سيد الأخلاق[(٣)]، فما من خلق فاضل إلا وهو يرجع إلى الصبر، فهو أساس الأخلاق الحميدة التي رغب فيها الإسلام وأمر بها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

٢- الحياء:

«الحياء خلق في الإنسان يبعث على فعل الجميل واجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»[(٤)].

والحياء من الفضائل الخلقية التي حث عليها الإسلام ورغب فيها وأعلى من شأنها، وجعلها جزءًا من الإيمان؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[(٥)]. فعديم الحياء لا يتورع عن فعل أي شئ، وقد جاء في

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، ج١،ص ١١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط١.

(٢) عبد الرحمن الميداني، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٣) قال ابن القيم: «الصبر سيد الأخلاق، وبه ترتبط مقامات الدين، فما من خلق فاضل إلا يمر بقنطرة من الصبر، وإن تحول إلى اسم آخر. فإن كان الصبر عن شهوة فرج محرمة سمي عفة، وإن كان عن فضول عشق سمي زهدًا، وإن كان عن دواعي غضب سمي عفوًا، وإن كان عن إجابة الإمساك والبخل سمي جودًا... وهكذا بقية الأخلاق ... والاسم الجامع لذلك كله الصبر، فما أوسع معناه وأعظم حقيقته!». عدة الصابرين؛ ابن تيمية؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت ص ٢٧-٢٨ .

(٤) رياض الصالحين؛ الإمام النووي؛ دار الوفاء ؛ المنصورة؛ ط٣؛ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م؛ ص٢٣٦.

(٥) صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان؛ ج١؛ ص١٢، وفي رواية لمسلم: «بضع وسبعون»؛ ج١؛ ص٦٣.

الحديث: عن أبي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[1].

٣- الأمانة:

الأَمانةُ مصدر مأخوذ من أمن يأمن أمنا وأمانا وأمانة، بمعنى: لم يخف، وقد أَمِنْتُ فأَنا آمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان. والأَمْنُ: ضدُّ الـخوف، والأَمانةُ: ضدُّ الـخِيانة[2].

والأمانة من جانبها النفسي: «خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس»[3]. وهو خلق تتعدد مجالاته، وتتسع دوائره، فلا تقتصر الأمانة على العفة عن الأموال، بل العفة عن كل ما ليس للإنسان به حق.

فالعفة عن العدوان على الأعراض من الأمانة، والعفة عن العدوان على الحقوق العلمية من الأمانة، والعفة عن الغش وتطفيف الكيل والميزان من الأمانة، والعفة عن الغلول من الأمانة، وكف العبد نفسه عما حرم الله عليه من الأمانة، وإعطاء كل ذي حق حقه من الأمانة، والجور والظلم من الخيانة.

والأمانة مصدر كالأمان، والأمان من الأمن، وهو ضد الخوف، وحين تنعدم مسببات الخوف يحصل الأمان في النفوس. ولما كان الأمين إنسانا مأمون الجانب لا يخشى عدوانه على حقوق غيره كانت ساحته ساحة أمان، ليس فيها أي مثير للخوف على المال أو على العرض أو على الحياة، ولذلك سميت الخصلة التي يتحلى بها الأمين على حقوق الآخرين أمانة»[4].

وقد حث الإسلام على التخلق بخلق الأمانة، وجعلها إحدى صفات المؤمنين، بل من لوازم الإيمان، ومن الأحاديث التي تؤكد ذلك ما يلي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[5].

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الأدب؛ ج٥؛ ص٢٢٦٨ .

(٢) لسان العرب؛ مرجع سابق؛ ج١٣؛ ص٢١.

(٣) الأخلاق الإسلامية؛ عبدالرحمن الميداني؛ مرجع سابق؛ ص٦٤٥.

(٤) عبد الرحمن الميداني، مرجع سابق، ص ٦٤٥ـ٦٤٦.

(٥) سنن الترمذي؛ كتاب الإيمان؛ ج٥؛ ص١٧؛ وقال: حديث حسن صحيح.

وقد جاء في حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ الله ﷺ إِلاّ قَالَ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ»[1].

وجعل فقد الأمانة من علامات النفاق لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[2].

٤- التواضع:

التواضع هو خفض الجناح وعدم التعالي، وهو نقيض الكبر، وهو صفة من صفات المؤمنين. جاء في الحديث: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا. قَالَ: إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[3]، فالكبر من الرذائل التي توقع المرء في الجريمة؛ لأنه يتعالى على من حوله من الناس فلا يخضع للحق.

٥- الحلم والعفو:

الحلم هو إمساك النفس عن هيجان الغضب، وإمساك اليد عن البطش، واللسان عن الفحش.

أما العفو فهو تجاوز وترك المؤاخذة بالذنب، وهي من الصفات الحميدة التي يتحلى بها الإنسان لأنها لا تصدر إلا من ذي نفس كبيرة راجحة العقل، صبرت على اعتداء الغير وأذاه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

هذا، وقد فصل الإسلام نظام الأخلاق تفصيلًا كبيرًا، فما من خصلة خلقية إلا وذكرها القرآن الكريم، وكذلك السنة النبوية في نصوص واضحة جلية؛ كل ذلك كي تشمل الأخلاق كل أفعال الإنسان وأحواله في جميع ميادين الحياة، وهي في ذلك ليست مجرد نظريات يطبقها من شاء ومتى شاء؛ وإنما هي دين واجب الاتباع، وقانون ملزم لكل مسلم، يقترن بجزاء دنيوي وأخروي، ثوابًا وعقابًا.

---

(١) مسند الإمام أحمد؛ ج٣؛ ص١٥٤.

(٢) صحيح البخاري؛ ج٢؛ ص٩٥٢، صحيح مسلم؛ ج١؛ ص٧٨.

(٣) رواه مسلم؛ كتاب الإيمان؛ باب تحريم الكبر؛ ج١؛ ص٩٣.

المطلب الثاني
أثر الأخلاق في الوقاية من الجريمة

إن مكارم الأخلاق ضرورة إنسانية لا يستغني عنها فرد ولا مجتمع، فبدونها تنهار الروابط الاجتماعية. ولذلك؛ لما أدرك أعداء الإسلام أهمية الأخلاق في المجتمعات الإسلامية حشدوا كل إمكاناتهم للعمل على إفساد أخلاق المسلمين، وما لم يتنبه المسلمون إلى ذلك فإن أعداء الإسلام سيبلغون هدفهم بالقضاء على البقية الباقية من أخلاق الإسلام المتأصلة في النفوس. ومعلوم بأن فساد الأخلاق سبب رئيس لانتشار الجريمة في المجتمعات، وتحلي المسلم بالأخلاق الفاضلة يضبط سلوكه، ويحميه من الوقوع في الجريمة.

فالصبر خلق إسلامي عظيم يدعو صاحبه إلى الإحسان إلى الناس، والصبر على أذاهم، والكف عن المحرمات؛ فهو نفحة روحية يعتصم بها المؤمن فيسكن قلبه ويطمئن، ولولاه لانهارت نفس الإنسان مما يتعرض له من بلايا ونكبات تنزل عليه، والصبر أساس كثير من الفضائل؛ لأنه يربي ملكات الخير في النفس؛ فكظم الغيظ، وإخماد جذوة الغضب، والدفع بالتي هي أحسن أمور تحتاج إلى حظ عظيم من خلق الصبر [1]. قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

أما خلق الحياء فالمشاهد والمجرب أنه يمنع صاحبه عن ارتكاب النقائص والقبائح والمنكرات، فكما جاء في الحديث: عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلاّ بِخَيْرٍ»[2].

أما حين ينعدم الحياء فإنه يهون على الإنسان أن يفعل من النقائص والقبائح والمنكرات ما يشاء؛ فلا يتورع فاقد الحياء أن يجاهر بمعصيته وفحشه. أما من تحلى بخلق الحياء فإن حياءه يحجزه عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ لأنه يستحيي من الله ويستحيي من الناس، فلا يقدم على معصية الله ولا يؤذي غيره من الناس.

فالحياء من لوازم الإيمان كما جاء في الحديث: عن عَبْدِ الله بن عمر رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ

---

(١) عبد الرحمن الميداني، مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٢) صحيح البخاري؛ باب الحياء؛ ج٥؛ ص٢٢٦٧. صحيح مسلم؛ ج١؛ ص٦٤.

مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: دَعْهُ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»[1].

والتحلي بخلق الأمانة يدفع صاحبه إلى أداء الحقوق لأصحابها. والأمانة ضد الخيانة. فمن الأمانة: أن يعف الإنسان عما ليس حقه من المال، وأن يؤدي ما عليه من حق لأصحابه. جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[2]. ومن الأمانة حفظ أعراض الناس من التعرض لها بالقول أو الفعل، وصيانتها مما يؤذيها.

ومن الأمانة حفظ الأسرار التي استؤمن الإنسان عليها.

فإذا فقدت الأمانة بين الناس وحلت الخيانة محلها، اضطربت الحياة وعم الصراع بين الناس، فيشيع الانتقام بينهم كرد فعل على ذلك.

والتحلي بخلق التواضع يدفع صاحبه إلى خفض جناحه لغيره من المؤمنين، فلا يتعاظم عليهم ولا يستكبر؛ لأن المتكبر يتعالى على غيره من الناس فلا يخضع للحق، وهذا ما يدفع لأخذ الحق بالقوة، بخلاف التواضع فهو خلق يملك القلوب بالمحبة، وأثره بين الناس كبير، جاء في الحديث: عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ولا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[3] ؛ فالفخر على الناس والبغي عليهم له عواقب سيئة، ولذلك واجهها الإسلام بالتواضع.

أما الحلم والعفو: فإن الله عز وجل دعا إلى مقابلة شرور الناس بالإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء].

فالإسلام أكد على التحلي بصفة الحلم والعفو وكظم الغيظ والتسامح؛ لأنها من كمال الأخلاق، وتقي الإنسان من الوقوع في الإثم والمعصية، وتمنعه من الانتقام، طمعًا لما عند الله من أجر لمن يعفو ويتسامح؛ حيث يقول عز من قائل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

---

(١) صحيح البخاري؛ كتاب الإيمان؛ ج١؛ ص١٧.

(٢) سنن أبي داود؛ كتاب البيوع؛ ج٣؛ ص٢٩. الترمذي؛ ج٣؛ ص٥٦٤؛ وقال: حديث حسن غريب.

(٣) سنن أبي داود؛ كتاب الأدب؛ باب التواضع؛ ج٤؛ ص٢٧٤.

المبحث الرابع
الصحبة الصالحة وأثرها في الوقاية من الجريمة

المطلب الأول
التعريف بالصحبة الصالحة وأهميتها

أولى الإسلام الصحبة الصالحة أهمية خاصة فدعا إليها؛ لأن الصحبة من العوامل الهامة في تكوين الإنسان، ولها أثر كبير في حياته، إما إيجابًا وإما سلبًا. فالصحبة الصالحة تهدي إلى الخير وتعين عليه، وفي الوقت نفسه حذر من قرناء السوء؛ لأن الرفقة السيئة تهدي إلى الشر وتعين عليه، بل وتتخلى في الأخير عن صاحبها بعد أن توردة المهالك، يقول تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف]، ويقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

وجاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[(١)].

وفي حديث آخر: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لا تُصَاحِبْ إِلا مُؤْمِنًا وَلا يَأْكُلْ طَعَامكَ إِلاّ تَقِيٌّ»[(٢)]، والصاحب في الدنيا يعرف بصاحبه، قال عدي بن زيد[(٣)]:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وإن كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

---

(١) رواه أبو داود؛ كتاب الأدب؛ ج٤؛ ص٢٥٩. والترمذي؛ ج٤؛ ص٥٨٩؛ وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه أبو داود؛ كتاب الأدب؛ ج٤؛ ص٢٥٩. والترمذي؛ كتاب الزهد؛ ج٤؛ ص٦٠٠؛ وقال: حديث حسن.

(٣) كتاب صيد القلم، خالد سيد علي، مكتبة التراث والإيمان، الكويت، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٨٥.

المطلب الثاني
أثر الصحبة الصالحة في الوقاية من الجريمة

للصحبة أثر كبير في تكوين شخصية الفرد وسلوكه تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، وكما يقال: «الصاحب ساحب»، وقد حذر الإسلام من رفقاء السوء؛ لأنهم سبب الانحراف، وبالمقابل حث على مصاحبة الأخيار؛ لأنهم عوان على الخير، جاء في الحديث: عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1]. وفي هذا الحديث بيّن الرسول ﷺ تأثير الرفيق الصالح والرفيق السوء.

فمما يجمل أخلاق الإنسان ويحسنها صحبة الأخيار؛ لأن الإنسان مولع بالتقليد؛ فكما يقلد من حوله في أزيائهم يقلدهم في أعمالهم ويتخلق بأخلاقهم. ومصاحبة الأخيار تغرس في النفس الأخلاق الكريمة وتدفعها إلى معالي الأمور. أما مصاحبة الأشرار، فإنها تقود إلى الاستهانة بالأخلاق وتجرئ على اقتراف الآثام؛ فالقرين الصالح يعتبر بحق أفضل نعم الحياة الدنيا، فهو الملاذ في الملمات، وهو المرشد الأمين لطريق الخير والنجاح[2].

والقرآن الكريم يوضح لنا التأثير الذي يمكن أن يحدثه الرفيق على رفيقه؛ فإن كان الرفيق صالحًا دعاه إلى الاستقامة، وساعده على زيادة تدينه وإيمانه، وأعانه على التمسك بفضائل الأخلاق، أما إن كان رفيق سوء فإنه يدعوه إلى الشر وإلى معصية الله.

وتبين الآيات التالية كيف يجب الحذر من رفيق السوء الذي يتحدث عنه فرد مؤمن من أهل الجنة إلى إخوانه المؤمنين فيقص عليهم قصة رفيقه في الدنيا الذي كان ينكر البعث، وكيف أن الله أنعم عليه بعدم سماع قوله واتباعه في ضلاله، ثم كيف أنه شاهد رفيق السوء في سواء الجحيم، وحمد الله على عدم اتباعه وعلى حفظ الله له في زمرة المؤمنين. قال تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي

---

(١) صحيح مسلم؛ كتاب البر والصلة؛ ج٤؛ ص٢٠٢٦.

(٢) كيف السبيل إلى الله؛ خير الله طلفاح؛ مؤسسة المطبوعات العربية؛ بيروت؛ ج٣؛ ط١؛ ١٩٧٥.

لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ [الصافات]، وفي آيات أخر يبين الله -سبحانه وتعالى- كيف يزين قرناء السوء للإنسان سوء عمله في الحاضر والمستقبل، وتكون النتيجة دخوله النار مع المجرمين السابقين واللاحقين، قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت].

فمتى ما كان الرفيق صالحًا دل صاحبه على الخير، وساعده على الارتقاء في سلم التدين إلى أعلى، وأما إن كان رفيق سوء فإنه يهبط به في سلم الدين إلى أسفل درجة [1]. فالرفقة الصالحة تقي الفرد من الوقوع في الجريمة. وتلك مسئولية الفرد ذاته في حرصه على حسن اختيار الصحبة الصالحة والابتعاد عن رفاق السوء.

ويمكن القول: إن حسن اختيار البطانة الصالحة هي صورة من صور الصحبة الصالحة. فالبطانة هم في الأصل الصحبة المرافقة دائمًا. وقد نبه الإسلام إلى أهمية حسن اختيار البطانة الصالحة. فقد ورد في الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الله بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ الله بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»[2]. وما أحوج حكام المسلمين اليوم إلى الاسترشاد بأحاديث الرسول ﷺ في اختيار البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير وتمنعهم من الزلل! وقد ورد في حديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ عَمَلا فَأَرَادَ الله بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»[3].

وجاء في الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا بَعَثَ الله مِنْ نَبِيٍّ وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ الله تَعَالَى»[4].

* * *

(١) التدين علاج الجريمة؛ صالح الصنيع؛ ط١؛ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م؛ مكتبة الرشد؛ الرياض؛ ص ٥٢-٥٣.

(٢) سنن أبي داود؛ كتاب الخراج والإمارة؛ ج٣؛ ص١٣١.

(٣) سنن النسائي؛ باب وزير الإمام؛ ج٧؛ ص١٥٩.

(٤) صحيح البخاري؛ كتاب الأحكام؛ باب بطانة الإمام وأهل مشورته؛ مرجع سابق؛ ج٦؛ ٢٦٣٢.